رسالة النور والفهم الداخلي: دليل في رحلة الحكمة

صلاح الدين ألتونداغ[1]

"أمامي رسالة النور؛ لا أفهم، لا أفهم، لا أفهم".

توقف للحظة ، بالطبع ستجد صعوبة في الفهم في البداية. انتظر لحظة ، لأنك تقف على باب قصر ضخم ومهيب. من غير العادل توقع فهم جميع تفاصيل القصر وأسراره في لحظة واحدة. مجرد وقوفك عند باب القصر هو شرف كبير بحد ذاته.

اجتهد أولاً في فهم باب القصر، ادخل إليه، حاول التعرف على من يعيشون فيه. مع مرور الوقت ، سوف يأخذك خدم القصر إلى الداخل ويقدمون لك معلومات حول القصر. وهكذا ، ستبدأ في التعرف عليه بقدر ما تستوعب وتجرب.

أكبر خطأ هو أن تعتبر رسالة النور ككتاب بسيط وأن تتوقع منها نفس التوقعات. ولكن يجب أن لا تنسى ، رسالة النور تختلف عن الكتب الأخرى ؛ هي دليل ، هي مرشد روحي حي. يجب أن تفهم هذا بالكامل وتقبله. عندما تلتقي برسالة النور ، يجب أن تجثو بتواضع أمامها ... تُجري رسالة النور لك فحصًا ؛ تحدد أين النقص فيك ، ما هي الأمراض التي تعاني منها ، ما هي الجراثيم التي تزعجك ومن ثم تبدأ عملية الإصلاح. ربما تكون أول مهمة هي تصحيح أساسك. كما تعلم ، الأساس ليس شيئًا بارزًا ، فهو مجرد شيء يُشعر. بعد تصحيح أساسك ، تبدأ تدريجيًا في وضع أعمدتك الداعمة والأعمدة. ثم تشكل جدرانك وأخيرًا تنتقل إلى الأعمال الدقيقة.

أنت تأمل في فهم كل شيء في لحظة واحدة ، ولكنك تعرف أن هذا غير ممكن.

هذا هو السبب في أن رسالة النور تعتبر مرشدًا روحيًا حيًا ، فهي تصلح أولاً ما تحتاجه ، تدريجياً. ترفعك ، تفتح عينيك وترى جميع الحقائق بقدر ما يمكنك رؤيتها. أقول "بقدر ما يمكنك رؤيته" لأنه يعطيك مقداراً يعادل ما تحتاجه.

يروي الطالب الراحل لبديع الزمان سعيد النورسي، مؤلف الرسالة النورية، بايرام يوكسل ذكرى كالتالي:

---

[1] دكتور وأستاذ مساعد، جامعة ديجله، تركيا

يرقد الأخ الراحل بيرام يوكسل على ذكرى واحدة:

في الدروس الصباحية، كان الأستاذ يدعونا إلى حضوره كل صباح بعد الصلاة. يتأكد من أدائنا للصلاة وتلاوة الذكر الخاص بها، ثم نجتمع جميعًا للدرس. لم تكن مدة الدروس الصباحية أقل من ساعتين. إذا كانت هناك مسألة ذات صلة في كتاب آخر حول الموضوع الذي كنا ندرسه، كان يحضر هذا الكتاب ويأذن لنا بقراءته كما هو.

بالرغم من أنني كنت أشعر وكأنني أتناول هذه الحقائق بقلبي وروحي، إلا أنني كنت أعتقد أنني لم أفهم شيئًا بشكل عقلاني.

في يوم من الأيام، سألني الأستاذ متوجهًا إلي:

"بيرام، ماذا فهمت؟"

أجبت قائلا: "لم أفهم شيئًا يا أستاذي"!

ثم، عندما غادرت حضور الأستاذ، حدث تحول. بدا وكأن هذا العقل قد استبدل بعقل آخر. مرة أخرى، خلال الدرس الصباحي، كان الأستاذ يقدم التوضيحات. كان الأمر كأنها تستقر في دماغي مثل الصورة... بعد الدرس، فكرت:

"حسنًا! لقد وصلت الآن إلى حالة من 'الكمال والكفاية'؛ أفهم تمامًا، يمكنني الذهاب من هنا"!

عندما عدنا إلى الدرس، رأيت أن تلك الحالة قد اختفت مرة أخرى! لم أفهم شيئًا مرة أخرى. الأستاذ، متوجهًا إلي، سأل:

"بيرام، ماذا فهمت؟"

"أستاذي، لم أفهم شيئًا!" عندما أجبت، صفعني! ولكن ليس في شكل مزاح...

"الآن فقد فهمت تمامًا! إذا كنت قد فهمت دائمًا كما فهمت في السابق، كنت ستقول 'أصبحت كاملاً' وتغادر، ولن تكون مطلوباً في خدمة القرآن. رسالة النور؛ هي حديقة من القرآن. بعض الناس يمدون أيديهم ويقطفون الثمار؛ بعضهم يأكل الثمار التي قطفوها، بعضهم يعض، بعضهم يشم رائحة... حتى لو أخذت رائحة خفيفة فقط، كن راضيًا عن خدمتك في القرآن"، قالوا.

من الواضح أن الأمر الأول الذي يجب أن تعرفه هو أنك يجب أن تجلس أمام رسالة النور، محسوسًا الحاجة إليها وقبولها كدليل روحاني. يجب أن تعبر عن هذه الحاجات إليها بروحك. عندئذ تبدأ رسالة النور بتقديم ما تحتاج إليه ببطء. مهما كانت حاجتك، لا شيء أكثر. لأن الزيادة قد تكون ضارة بك.

بالفعل، لم تخلق لتعرف كل شيء. الهدف من خلقك هو السعي إلى الحقيقة بناءً على المعرفة التي يمكنك الحصول عليها وتجسيدها في حياتك. والحقيقة الحقيقية هي أن الله موجود، وهو هو (جل جلاله) الذي خلق كل شيء، وهو معنا في كل لحظة، ويتولى إدارة الكون بكل شيء وفي كل لحظة. الخطوة التالية هي السعي إلى معرفة الله (تعلم الأسماء الإلهية).

تطلب رسالة النور منك التعلق (الولاء)، تعلق نقي ونظيف... من خلال هذا التعلق، يجب أن تجثو أمامها كمريض بحاجة إلى العلاج، محسوسًا جوعك للمعرفة. كما يقول المريض الذي يأمل بمساعدة الطبيب: "أنا مريض، وأحتاج إلى الطبيب، هذا الطبيب سيعيدني إلى صحتي، سيعطيني الأدوية اللازمة، وسأعود إلى صحتي مع استخدام هذه الأدوية بانتظام." بهذه الطريقة، يجب أن تجثو أمام رسالة النور بالاستسلام الذي يظهره المريض أمام الطبيب. بعد أن تفهم رسالة النور هذا التوجه الصادق والمخلص منك، تدرس حالتك وتوفر العلاجات التي تحتاج إليها بما لا يقل ولا يزيد.

بتالي، تطلب "رسالة النور" منك الوفاء والإخلاص، كما لو كنت تسعى لاستشارة طبيب نفسي، يجب عليك مراجعتها بانتظام، والالتزام بالدروس والمشورات التي تقترحها، ووضع ثقتك فيها.

تبحث "رسالة النور" فيك عن الجدية والمثابرة. وإلا، قد تواصل قراءتها كما تقرأ كتبًا أخرى، دون تحقيق تقدم ملموس.

يكمن جوهر هذه العملية كلها في طلب "رسالة النور" للإخلاص منك. يجب عليك أن تعبر عن احتياجاتك بإخلاص وأن تستمر بإخلاص. حينها، تأخذ "رسالة النور" بيدك، تقوم أولاً بتقييم حالتك، تحديد احتياجاتك، فهم الجوانب التي تحتاج إلى إصلاح، ثم تبدأ في تشييدك كما يُبنى مبنى. ومع ارتفاعك، تكتشف حقائق جديدة وتصل إلى معان جديدة.

تضم "رسالة النور" لغات متعددة مثل العثمانية، العربية، الفارسية، وفروع معرفة متنوعة منها المنطق والفلسفة والعقيدة والتفسير والعديد من العلوم المتقدمة. ومع ذلك، فإن الإتقان المطلق لكل هذه العلوم ليس شرطًا أساسيًا لفهم "رسالة النور". كما هو الحال في العديد من تلاميذ النور الذين يعيشون في منطقة الأناضول في تركيا، العديد من الإخوة الكبار الذين ليس لديهم تعليم رسمي، والذين لا يعرفون الفارسية أو العربية أو العثمانية، وحتى الذين لم يحضروا المدرسة، يظهرون التقدم الذي أحرزوه من خلال رسالة النور.

نعم، قد لا يكون الجميع مثل الشيخ المحترم المتوفى محمد الأربعوني، أو مثل غيره من الأشياخ الحكماء. أن تكون عالمًا أو متقنًا في الفلسفة قد لا يكون ضمن إمكانيات الجميع. ولكن، هذا ليس هو التوقع الأساسي. ستقدم لك "رسالة النور" كل ما تحتاجه، وقد يكون ما هو أكثر من ذلك ضارًا بك. في جوهرها، "رسالة النور" تقدم الروحانية، تمنح روح

الدعوة وروح الإيمان، وروح الوطنية، والوعي بالعبادة، والتمييز، والحقيقة التي تتجاوز الحقائق الظاهرية. وإلى جانب ذلك، تمد بالمعرفة الأخرى تدريجيًا وفقًا لقدراتك وبمستوى لا يضرك.

في الختام، إذا كنت ترغب في فهم "رسالة النور"، أولا، عليك أن تكون طالبًا صادقًا. ثانيًا، يجب أن تقبلها ليس فقط ككتاب، بل كمرشد حي، وتستسلم لها، وتتابع ما تقدمه بإخلاص وثقة. هذا هو الأساس والبداية.

دع الباقي لـــ "رسالة النور": ستوفر لك ما تحتاجه، متى تحتاجه، وبالجرعة المناسبة، كمرشد، أو معلم، أو مهندس، أو طبيب، أو نفساني، لا تقلق... إذا كنت بحاجة إلى دليل على ذلك، فزر تلاميذ النور في منطقة الأناضول في تركيا الذين اعتنقوا وعاكسوا تعاليم رسالة النور في حياتهم. قم بالحديث معهم، تعرف على قصص حياتهم، وشاهد بنفسك كيف سيؤكدون لك أنه "فعلاً صحيح."